المبحث الأول

(مقدمة في علم الكلام)

المطلب الاول

تعريف علم الكلام

لقد أبدى علماء الاسلام اهتماماً واضحاً ، وعناية كبيرة ، ودراسات علمية دقيقة، وابحاثاً عقلانية ذكية ، لأشرف العلوم الشرعية ألا وهو علم الكلام فعرفه المتكلمون بعبارات عديدة ، وتعريفات كثيرة ، تنم على عمق نظرهم وتنوع رؤيتهم الى هذا العلم الشريف .

فنجد بعض المتكلمين يجعل دراسات علم الكلام مقتصرة على المباحث والموضوعات التي تتفق مع عقيدة أهل السنة ، دون الدخول في دراسة القضايا الفلسفية المعقدة ، بينما نجد الفريق الاخر يوسع دائرة تحرك الكلام ، فيدخله ضمن ابحاثه الشرعية التي تتناول دراسة عقائد أهل السنة ، عقائد الفرق والأمم الأخرى ، واليك بعض الامثلة من تعريفاتهم :-

١- قال الامام عضد الدين الايجي (ت -٧٥٦ هـ) رحمه الله (الكلام علم ، يقتدر معه أي : يحصل معه حصولاً دائمياً عادياً قدرة تامة على إثبات العقائد الدينية على الغير والزامه إياها بايراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها)[١].

١ شرح المواقف للجرجاني ، طـ ١ ، دار الكتب العلمية بيروت : ١ /٤٠.

٢- وقال في تعريفه العلامة سعد الدين التفتازاني (ت – ٧٩٢ هـ) – رحمه الله – (الكلام : هو العلم بالعقائد الدينية ، المكتسب عن الادلة اليقينية)[١].

ومن خلال هذين التعريفين يتضح لنا ان تعريف الامام التفتازاني لا يختلف عن تعريف الامام الايجي ، أن علم الكلام يشمل عقائد المسلمين وغيرهم من المخالفين لهم ، لا كما توهم فضيلة الأستاذ مصطفى عبدالرازق – رحمه الله – عندما ذهب الى القول بان التفتازاني لم يجعل تعريفه لعلم الكلام شاملا لكلام المخالفين ، وانما يخصه بالكلام القائم على قانون الاسلام أي : ماعلم قطعاً من الدين ، وهو بذلك مخالف للايجي[٢] .

وبهذه الرؤية لعلم الكلام اعتقد كثير من العلماء ، بل كان فيهم من هو أسبق من الايجي والتفتازاني انفسهما كالقاضي عياض [٣] – رحمه الله – وغيره .

٣- وقال السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) – رحمة الله – (الكلام : علم يبحث فيه عن ذات الله – سبحانه وتعالى وصفاته ، واحوال الممكنات من المبدأ والمعاد ، على قانون الاسلام ، والقيد الاخير لاخراج العلم الالهي للفلاسفة). وقال ايضا (الكلام : علم باحث عن امور يعلم منها المعاد ، وما يتعلق به من الجنة والنار والصراط والميزان والثواب والعقاب)[٤].

---

١ شرح المقاصد للتفتازاني ط ١ دار الكتب العلمية ١٢/١-١٣.

٢ ينظر: الكلام الاستاذ مصطفى في كتابه (التمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية) : ٢٦٣ ، وقد فصل لذلك شيخنا الدكتور في اطروحته (الباقلاني وأراؤه الكلامية) : ٢٠ وما بعدها.

٣ ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم : ٣١٣/١.

٤ ينظر: كتاب التعريفات للجرجاني ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ،١٨٥.

وقيل : الكلام : هو العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية ، المكتسبة عن الادلة[1] .

٤- وقال العلامة حسين الطرابلسي (ت١٣٢٧هـ) -رحمه الله- (اعلم ان علم التوحيد- وهو اسم من اسماء علم الكلام كما سيأتي قريبا - يبحث فيه عن اثبات العقائد الدينية بالادلة اليقينية[2] .

٥- قال الشيخ محمد عبده (ت١٩٠٥م) -رحمه الله- (التوحيد : علم يبحث فيه عن وجود الله تعالى ، وما يجب ان يثبت له من صفات ، مايجوز ان يوصف به وما يجب ان ينفى عنه ، وعن الرسل لاثبات رسالتهم ، ومايجب ان يكونوا عليه وما يجوز ان ينسب اليهم ، وما يمتنع ان يلحق بهم)[3]. وفي الحقيقة توجد الان بين يدي ، تعريفات اخرى كثيرة .، ذكرها علماؤنا الاجلاء - رحمهم الله - بيد أنا اقتصرنا على هذه التعريفات الخمسة لانها تفي بالغرض وتوضح المقصود .

ومن خلال قراءتنا تعريف الامام الجرجاني وهو يقيد حركة علم الكلام بقانون الاسلام ، وقواعده الشرعية لا الاعتقادية ، تبين لنا انه يختلف مع الايجي والتفتازاني اللذين شملا بتعريفهما السابقين ، بحث العقائد الدينية الاسلامية وغيرها.

وعلى كل حال فانه بالامكان ان نستنتج من هذه التعريفات ان المتكلمين اختلفوا في تحديد وظيفة هذا العلم المبارك وتقييد حركته على قولين اثنين

---

١ كتاب التعريفات للجرجاني (ت٦١٨هـ) ، ط٣، دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م : ١٨٥.
٢ الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الاسلامية للشيخ حسين بن محمد الجسر الطرابلسي (ت١٣٢٧) : ٧ ، منشورات نور محمد كارخانة .
٣ رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ، دار احياء العلوم – بيروت – ط ٦ ، ١٩٨٦ م : ٤٣.

الاول : وظيفته اثبات العقائد الدينية على الغير ، والثاني : الزامه اياها بايراد الحجج عليها ، ودفع شبه المبطلين عنها .

وسبب اختلاف المتكلمين في هذه القضية يعود الى اختلافهم في اصل ثبوت العقائد الدينية (بالشرع او بالعقل) على قولين . فمنهم من يرى انها ثابتة بالنصوص الشرعية ويجيء العقل بعدها مؤيدا لما تقرر بتلك النصوص ومؤكدا ومنهم من يرى خلاف ذلك ، وقد اطال بعضهم بتحرير الجواب على هذه القضية بنفس ماقلناه مفصلا والله سبحانه وتعالى اعلم .

المطلب الثاني

اسماء علم الكلام

تعارف الدارسون ، واعتاد الباحثون ، في اثناء دراستهم لعلم الكلام وقبل الدخول في بحث مفرداته ودراسة جزيئاته ، ان يذكروا لنا اسماء هذا العلم الكريم .

وبما ان شرف العلم من شرف المعلوم ، وبما ان المعلوم هنا هو الله تعالى جل جلاله وعم نواله ، ذاتا وصفاتا وافعالا واسماءً فقد كرس المتكلمون الاسلاميون جهودهم العلمية لهذا العلم حتى توصلوا الى ان لهذا العلم اسماء عديدة وهي :

١- **الفقه الاكبر** : وهذه اقدم تسمية لعلم الكلام ، وكان اول من سماه بهذه التسمية الجميلة هو الامام الجليل ابو حنيفة النعمان (ت١٥٠هـ) رحمه الله في كتابه (الفقه الاكبر في التوحيد)[١].

وقد تبعه على هذه التسمية امامنا الشافعي (ت٢٠٤هـ) (رحمه الله حيث قال في بداية كتابه (الفقه الاكبر) مانصه هذا كتاب ذكرنا فيه ظواهر المسائل في اصول الدين ، التي لابد للمكلف من معرفتها والوقوف عليها ، وسميناه بالفقه الاكبر)[٢].

٢- **علم النظر والاستدلال** وذلك لاعتماده منهج النظر الفكري ، والاستدلال العقلي وسيلة لاثبات اصول العقائد التي تثبت بالنصوص الدينية[٣].

---

١ ينظر: كتاب الفقه الاكبر في التوحيد للامام ابي حنيفة النعمان بتقديم وتعليق محمود عمران موسى ، مطبعة اسعد ، بغداد ١٩٩٠م : ٣٠٢.
٢ الكوكب الازهر شرح الفقه الاكبر ، تحقيق الشيخ محمد ياسين عبدالله :٧ .
٣ ينظر: اصول الدين الاسلامي للدكتورين الفاضلين رشدي عليان وقحطان الدوري : ١٧ .

٣- **علم التوحيد والصفات** وذلك لان مبحثي التوحيد والصفات الالهية (اشهر مباحثه ، واشرف مقاصده)[١] .

٤- **علم العقائد** : وذلك لان وظيفة هذا العلم هي ان (يتكفل ببحث العقائد الدينية ، واثباتها بالادلة اليقينية ، والدفاع عنها ضد الافكار المخالفة لها)[٢] . ولاشك في ان اكثر مايتمسك بهذه التسمية القائلون بأن علم الكلام يثبت ويدافع .

٥- **اصول الدين** [٣] : وذلك لان علم الكلام اصل لجميع العلوم الدينية ، وهي فرع منه . وعلم الكلام بهذا الاسم يقابل علمين جليلين ، احدهما هو علم الفقه . المتكفل ببيان الفروع العملية الدينية ، وثانيهما : هو علم الروح (التصوف) المتكفل بتطهير النفس من الرذائل وتحليتها بالفضائل ، والضامن لطالبه وعامله تذوق حلاوة العقيدة الاسلامية ، بصفاء ونقاء ، كما تذوقتها قلوب اصحاب خاتم النبيين (صلى الله وسلم عليه وعليهم اجمعين من يديه الطاهرتين المباركتين .

٦- **علم الكلام** : لم يظهر لي اي اختلاف بين المتكلمين في وجه تسمية علم الكلام بهذه الاسماء المار ذكرها بل كانت محل اتفاق ووفاق وانما اختلفت الاراء ، وتضاربت الاقوال في سبب تسميته بـــ (علم الكلام) وقد استطاع العلامة سعد الدين التفتازاني (ت-٧٩٢هـــ)-رحمة الله- ان يجمع هذه الاقوال ، فكان مجموعها ثمانية اقوال وهي :

---

١ شرح العقائد النسفية للتفتازاني (ت٧٩٣) : ١٣.
٢ اصول الدين الاسلامي : ١٧.
٣ المصدر نفسه : ١٨.

القول الاول: لان عنوان مباحث المتكلمين في العقائد كان: الكلام في كذا وكذا.

القول الثاني : لان مسأله الكلام – اي كلام الله تعالى – كانت اشهر مباحث هذا العلم ، واكثرها نزاعاً وجدالآ ، حتى كثر فيه التشاجر وسفك الدماء .

القول الثالث: لان هذا العلم يورث قدرة على الكلام ، في تحقيق الشرعيات والزام الخصوم فهو لها كما المنطق للفلسفة[1] .

القول الرابع : لأنه اول ما يجب من العلوم التي انما تعلم ، وتتعلم بالكلام ، فاطلق عليه_ أي : على مايفيد معرفه العقائد من ادلتها _ هذا الاسم ، ثم خص به ، ولم يطلق على غيره تمييزاً له – عن بقيه العلوم – .

القول الخامس: ولأن هذا العلم لا يمكن ان يتحقق الا بالمباحثة ، وادارة الكلام من الجانبين ، في حين ان غيره من العلوم الاخرى يمكن ان يتحقق ويحصل بالتأمل ومطالعة الكتب .

القول السادس: لأنه اكثر العلوم خلافاً ونزاعاً ، فيشتد افتقاره الى الكلام مع المخالفين والرد عليهم .

القول السابع : ولقوة ادلته صار هذا العلم كأنه هو الكلام دون ماعداه من العلوم ، كما يقال للاقوى من الكلامين : هذا هو الكلام .

القول الثامن : ونظرا لقيام هذا العلم وابتنائه على الادلة القطعية ، المؤيدة أكثرها بالآدلة السمعية ، كان اشد العلوم تأثيراً في القلب ، وتغلغلا فيه ، فسمي بـــ (علم الكلام) المشتق – أي الكلام – من الكلم ، وهو الجرح . واضاف بعضهم

---

١ ينظر: شرح العقائد النسفية : ١٧-١٨ ، وشرح المقاصد : ٤٦/١ ، والتمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية : ٢٦٥ ، ودراسات في الفرق والعقائد الاسلامية لـ د.عرفان عبد الحميد : ١٢٢ ومابعدها.

قولاً تاسعاً وهو ان اصحاب هذا العلم تكلموا فيماكان السلف من الصحابة والتابعين يسكتون عنه ، ولا يخوضون فيه . فالكلام ضد السكوت ، والمتكلمون كانوا يتكلمون حيث ينبغي الصمت اقتداء بالسلف الذين لم يخوضوا في المسائل العقدية الا بحد ضيق .

لقد كانت هذا التسعة محصول ما يتوصل اليه التفتازاني وغيره ، لتسمية هذا العلم ، بعلم الكلام . ولي في هذا المكان شيئان - اضافة وملاحظة - .

أما الاضافة فلا أرى بأساً في تسمية هذا العلم الشريف بـــ (علم الكلام) كونه علم الذي يتكفل بما يجب على الانسان ان يعتقده ويؤمن به ، لا سيما ان كثيراً من العلماء اذا ما تطرق في كتابه الى بحث المسائل العقدية ، قال : كتاب الايمان .

وأما الملاحظة فأقول - بشكل سريع ومختصر - لم يكن التفتازاني اول من ارجع سبب تسميه هذا العلم بعلم الكلام الى الخلاف في كلام الله تعالى هل هوأزلي قديم أو مخلوق حادث ، حيث سبقه الى ذكر هذا السبب بعض العلماء ومنهم ابن خلكّان (ت-٦١٨ هـــ) . وأيده عليه كثير من المتأخرين مثل الشيخ محمد عبده . لكن هذا الرأي في الحقيقة مرجوح جداً[1] .

وذلك لان قراءة علمية دقيقة ، وتفحصاً سريعاً لتاريخ علم الكلام يكشف لنا بيقين ان هذا العلم كان موجوداً قبل ظهور الخلاف في مسأله كلام الله

---

١ ينظر: وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ،لابي العباس احمد بن محمد المعروف بان خلكان (٦٨١هـ) ،تحقيق :احسان عباس ، مطبعةدار صادر، بيروت ـ لبنان ،١٩٧٥م ومطبعة السعادة ،مصر ،١٣٦٧هـ. :٦٨٧/١، ورسالة في التوحيد : محمد عبدة : ٤٣.

تعالى هل هو ازلي قديم او مخلوق حادث ؟. اذا كانت هذه المشكلة هي السبب في هذه التسمية فبأي أسم اذن كان يسمى هذا العلم قبل ظهور الخلاف والجدال في ازلية كلامه تعالى .

المطلب الثالث

موضوع علم الكلام

اختلف المتكلمون في تحديد موضوع علم الكلام على ثلاثة اقوال :

القول الاول: موضوعه هو ذات الله تعالى ، وصفاته ، وذات الممكنات من حيث استنادها الى الله تعالى ، فكان علم الكلام العلم الباحث في احوال الصانع واحوال الممكنات ، من حيث احتياجها اليه .. سبحانه – ، ولكن على أساس قانون الاسلام . وكان ممن قال بذلك فريق من المتكلمين ، ومنهم العلامة القاضي الأرموي (ت–٦٨٢هـ) والقاضي البيضاوي (ت–٦٨٥هـ) وابو الثناء شمس الدين بن محمود الاصفهاني وغيرهم[١] .

القول الثاني : موضوعه الموجود من حيث هو، ولكنه يتميز عن العلم الألهي بكون البحث فيه على قانون الاسلام، وبه قال حجة الاسلام الغزالي (ت–٥٠٥هـ) رحمة الله– .

القول الثالث موضوعه المعلوم من حيث يتعلق به أثبات العقائد الدينية . فهو علم يبحث في احوال الصانع من القدم والوحدة وغيرها ، ومن احوال

١ الاقتصاد في الاعتقاد لابي حامد الغزالي ، مطبعة محمد صبيح واولاده :٦ ، ونثر اللآليء لعبد الحميد الالوسي ، مطبعة الشابندر بغداد :٦ ، وتقريب المرام في شرح تهذيب علم الكلام ، للعلامة عبد القادر السنندجي : ١/١٢-١٣.

الجسم والعرض والحدوث والتركيب من الجواهر الفردة وقبول الفناء ونحو ذالك ، وعن احوال الحال والمعدومات من الانتفاء وعدم التمايز المحتاج اليهما ، في اعتقاد كون صفاته _ تعالى _ متعددة موجودة ، والى غير ذلك من العقيدة الاسلامية . وبهذا القول قال كل من العلامة الايجي والتفتازاني وغيرهما[1] .

□

١ ينظر: مفتاح السعادة ومصباح دار السيادة لآحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبري زادة : ١٥٠/٢.

المطلب الرابع

اقسام العقائد الدينية

تقسم العقائد الدينية على قسمين اثنين :-

أولا : قسم يستطيع العقل ان يستقل بادراكه ، كوجود الصانع بهذا الكون ، وعلمه وقدرته وحكمته وارادته ، فكل ذلك مما يمكن ان يدركه عقل الانسان من خلال التأمل الفكري والنظر العقلي في اثار الجليل _ جل جلاله وعم نواله _ في هذا الكون العظيم ، الذي كل مافيه يدلك على علم الصانع – سبحانه – ، ويرشدك الى عظيم قدرته وحكمته وارادته ، لما فيه من دقة واتقان .

ثانيا : وقسم لا يستطيع العقل ان يستقل بادراكه ، بل لابد فيه من السماع عن طريق حضرة الرسل الكرام _ على نبينا وعليهم افضل الصلاة والسلام _ والكتب المنزلة عليهم من الله _ تعالى . ، وهو ما يتعلق باليوم الاخر كالحشر والحساب والشفاعة والحوض والجنة والنار واحوال القيامة واهوالها ، وما شابه ذالك . وكلا القسمين لا يعتد به ، ولا يعول عليه ، الا اذا طابق القرأن الكريم وصحيح الحديث الشريف ، وعندئذ متى استند العقل الى ذلك أمن من الزلل[1] .

١ ينظر: رسالة في علم العقائد للعلامة رشيد الخطيب ، مطبعة الجمهورية ، الموصل سنة ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م : ٣-٤.